الأندلسيون

(بقلم عبدالعزيز بنعبدالله)

بحثنا هذا ينصب خاصة على من هاجر من الأندلسيين إلى عدوتي أبي رقراق (الرباط وسلا) فالأندلسيون هم الذين هاجروا قبل سقوط غرناطة و المورسكيون هم الأندلسيون الذين نصروا و هجروا قسرا إلى المغرب في القرن السادس عشر الميلادي و هي تسمية أطلقها عليهم الإسبان خلال هذا القرن الموافق في معظمه للقرن العاشر الهجري وجزء من الحادي عشر (1500-1600م/906هـ/1009) وقد هاجر الأندلسيون في فترات شتى إلى فاس ومراكش و الريف فالهجرة الأولى كانت من قرطبة آخر القرن الثاني الهجري وقد تحدث عنها المقرى ف ي النفح (ج 1ص318) و كانت له أي الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل" الواقعة الشهيرة مع أهل الربض من قرطبة لانه في صدر ولايته كان قد انهمك في لذاته فاجتمع أهل العلم و الورع بقرطبة و خلعوه وبايعوا بعض قرابته و كانوا بالربض الغربي من قرطبة وكان محله متصلا بقصره فقاتلهم الحكم فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم و لحقوا بفاس من ارض العدوة و بالأسكندرية من أرض المشرق ونزل بها جمع منهم ثم ثاروا بها فزحف إليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمامون بن الرشيد وغلبهم وأجازهم إلى جزيرة (قريطش) فلم يزالوا بها إلى أن ملكها الإفرنج من أيديهم بعد مدة و قد أسس عمر البلوطي، أسرة ملكت إلى عام (350هـ/961م) و هو العهد الذي امتلك فيه الإغريق الجزيرة و قد استقرت – حسب دوزي – ثمانية آلاف عائلة ربضية بفاس حيث سبقتها جالية قيروانية و كان العرب عمالا و تجارا والأندلسيون منهم مزارعين (البيان المعرب لابن عذارى ج 2ص 79 في قسمه المترجم/ دوزي – تاريخ مسلمي اسبانيا ج 1 ص 301) وقد نزل اندلسيون في الريف أوائل القرن الثاني عشر حيث أقام جماعة من البحريين بقيادة محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون ببناء قرية في (بني قميل) بين (مثيوة) و (بني بوفراح) عام (209هـ/824م) (المغرب للبكري ص 70) أما في مراكش فقد كانت المهاجر الرئيسي من قرطبة واشبيلية أيام الموحدين و بمقارنة مجموع من هاجر نلاحظ تساكن فئات مختلفة من آل جيان وطليطلة وبلنسية ومالقة وشنترين وسرقسطة وشنترة وشقورة و قربليان ويكة وأخيرا غرناطة ومعلوم أن عدد مدن الأندلس (386) منها ست كبرى هي قرطبة واشبيلية وغرناطة و بلنسية وطليطلة و سرقسطة وأربعون حاضرة يندرج فيها باقي المدن وكان أهل المشرق قد استوطنوا بعضها كالشاميين في (البيرة) و الأوربيين في(مالقة) والفلسطينين في (شذونة) و أهل حمص في(اشبيلية) و المصريين في بيجة و مرسية (الحلل السندسية –شكيب أرسلان ج 1 ص 40) و كانت قد قسمت في عهد الموحدين إلى عدة ولايات أو عمالات هي ولاية الغرب (شلب و احوازها) و بيجة و يابرة وبطليوس وماردة و أحوازهما و لم يكن عدد سكانها يقل عن خمسة عشر مليون نسمة في عهد الناصر وصفهم المقرى (النفح ج 1 ص 105) بأنهم «أهل احتياط و تدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال فلذلك قد ينسبون إلى البخل ولهم مروءات على عادة بلادهم لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظائمه» ووصف نظافتهم فقال : «أهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون.. وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيه ساعة يومه فيطويه ولا يظهر على حالة تنبو العين عنها و قد تزايد عدد المهاجرين بعد عهد الموحدين حيث بدأت بعض الحواضر تتساقط في قبضة الأسبان فبعد وقعة طريف عام (741هـ) استولى الإفرنج على الجزيرة الخضراء فأجاز أهلها إلى المغرب عام (743هـ) و أنزلهم أبو الحسن المريني ببلاده على خير نزل (الاستقصا ج 2 ص67) وربما كانوا يهاجرون عند اشتداد الأزمات عندما كانوا يتعرضون لهجمات الأسبان والبرتغاليين كما وقع قبل احتلال شاطبة عام (645هـ/1247م) (النفح ج 6 ص 215) من حيث هاجر العلامة عبد الله بن

علـي بــن أحــمد الــلخــمي الشــاطــبي إلى (أغمات) فتولى قضاءها عام (532 هــ) و توفي بعد ذلك بسنة (تكملة ابن الأبار ج3 ص 466 – طبعة مجريط 1887)
وكان آخر معقل وقع في يد الإسبان قبل غرناطة هو اشبيلية في نفس السنة وهو آخر عهد الموحدين حيث بويع عبد الواحد الملقب بالرشيد عام (630هــ/ 1232 م) فحوصرت سبتة في عهده ودفع للإفراج عنها غرامة قدرها 400.000 دوكة وهو الذي انتزع مدينة فاس من بني مرين و قد انضم إليه الإشبيليون و أهل سبتة عام (635هــ) و توفي غريقا عام (640هــ) و كان قد اصدر الظهير لإيواء الأندلسيين و منحهم حق اللجوء خاصة في عدوتي أبي رقراق حيث كان نائبه في ولاية المنطقة هو الأمير عمر المرتضى فانهزم عام (662هــ) و بانهزامه قامت دولة بني مرين و كانت (قشتالة) قد استولت على اشبيلية قبل ذلك بثلاث سنوات (645هــ) فانتقل الحكم الإسلامي إلى غرناطة التي بدأت أول وقعاتها ضد الاسبان عام (719 هــ/1319م) بامرة فدائيين من المغرب على رأسهم شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء الذي كان يشرف على مائتين من المجاهدين صرع معظمهم ففاوض أبو عبد الله العنابي نزيل درعة ابازكرياء الوطاسي في فدائهم مزودا من نساء القصر السلطاني بالحليولكنه غرق في البحر (دوحة الناشر ص 69) و استولى الاسبان على غرناطة عام (897هــ/1481م) فاستثنا من أهل غرناطة (67) شرطا لبقائهم على أموالهم و شريعتهم ومساجدهم فغدر الاسبان بهم وبملكهم أبي الحسن و لعل اشتاتا أخرى من الأندلسيين ظلوا متمسكين في مساقط رؤوسهم بحواضر أخرى و خاصة في ملاجئهم بالجبل كأهل (بللنقة) وهو جبل بالأندلس صمد أهله عام (904هــ/1498) عندما حمل الإسبان المسلمين على التنصر فثار البللنقيون وقتلوا صاحب قرطبة و اخرجوا على الامان إلى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم دون الذخائر (الاستقصا ج 2 ص 154) ونحن نتساءل عن وضع مدينة (رباط الفتح) قبل هجرة الأندلسيين إليها طوال أربعة قرون ففي عهد المولى (الرشيد) الموحدي كان قد مر على تأسيس الرباط نحو أربعين سنة ما لبث أن انقرض بعدها بخمس سنوات عهد الموحدين فأعقبهم بنومرين ثم السعديون حيث بدأت الهجرة في عهد المولى زيدان بن احمد المنصور الذهبي ففي هذه الفترة الطويلة طرأت أحداث و برزت مظاهر حضارية و اجتماعية و فكرية جديدة في رباط الفتح و خــلال جزء كبــيــر مــن هذه الفترة كانت غرناطة قد خلفت اشبيلية فهاجر الكثير من أهلها إلى العاصمة الجديدة تحت حكم بني نصر و آخرهم هو أبو عبد الله الصغير محمد (المعروف في المصادر الأجنبية ب(بوعبديل) الذي أبرمت بينه وبين الملكيين الكاثوليكيين الدون (فرديناند) والدونة (ايزابيلا) بتاريخ (21 محرم 897هــ/ 25 تشرين الثاني 1491م) معاهدة لتسليم غرناطة وقد أصبح أهل غرناطة المسلمون بمقتضى هذه المعاهدة "رعايا طبيعيين" للملك الكاثوليكي مع حفاظهم على بيوتهم وأراضيهم و أموالهم و ممارسة الشعائر الإسلامية بحرية دون المساس بمساكنهم وجوامعهم و أبراجهم و محاكمتهم بموجب قوانينهم وقضاتهم واحترام عاداتهم وتقاليدهم و عدم مصادرة أسلحتهم أو خيولهم باستثناء الذخيرة الحربية ويسمح لمن يرغب في الجواز إلى العدوة أو أي مكان آخر ببيع ممتلكاتهم و أراضيهم لمن شاء ومع إعطاء الأولوية في ذلك للملك الكاثوليكي الذي يجهز لعبورهم (ارض المغرب) عشر سفن كبيرة تتوزع على الموانئ القريبة منهم مع بيع أو تفويض لمن ينوب عنهم في تحصيل حقوقهم و لا يسمح لأي نصراني بدخول المساجد دون إذن من الفقهاء الذين يتولون إدارة إيراد الجوامع و الحلقات الدراسية فيها و يعتبر جميع أسرى النصارى أو المسلمين أحرارا و لا يدفع المسلمون إتاوات أكثر مما كانوا يدفعونه لملوكهم و يسمح لمن غادر الأندلس منهم بالعودة خلال ثلاثة أعوام من تاريخ إبرام المعاهدة للتمتع بالامتيازات التي يمنحها الأسبان لهم ويحق لتجار غرناطة والبيازين و البشرات و الأرباض أن يحملوا سلعهم إلى العودة ولا يجوز إرغام أية نصرانية تزوجت من أحد المسلمين واعتنقت الدين الإسلامي على العودة إلى النصرانية إلا طائعة وكذلك كل نصراني اعتنق الإسلام قبل إبرام الاتفاقية ولا يجوز إرغام مسلم أو مسلمة على اعتناق النصرانية .
وبعد انتهاء السنوات الثلاث المنصوص عليها في الاتفاقية تدفع ضريبة الأملاك و الضياع الأميرية وفقا لقيمتها الحقيقية. و تشمل هذه الاتفاقية أيضا اليهود من مواليد مدينة غرناطة والبيازين الخ... و يسمح لهم بالعبور إلى العدوة خلال شهر من تاريخه ولا يولى علىجماعة أبي عبد الله الصغير أحد

ممن كانوا موالين لمولاي الزغل ملك واد آش عم أبي عبد الله الذين كانت بينهما عداوة قديمة و يتولى النظر في الخصومات بين مسلم و نصراني مجلس مؤلف من حكمين أحدهما مسلم والآخر نصراني و يفرج عن جميع أسرى غرناطة و البيازين وأرباضهما و ضياعهما الموجودين في الأندلس خلال الأشهر الخمسة التي تعقب إبرام المعاهدة و يتعهد الملك الإسباني لجميع السفن الآتية من العدوة (المغرب) أن ترسو في موانئ مملكة غرناطة مع حرية التنقل و الأمن.

و قد أبرمت في نفس اليوم الذي وقعت فيه معاهدة تسليم غرناطة معاهدة سرية كملحق للأولى تضمنت الحقوق والواجبات و الالتزامات و الامتيازات التي أعطيت لابي عبد الله الصغير و أفراد أسرته وحاشيته و قد مثل الملك في التوقيع القائد أبو القاسم المليح و ذلك بعد أن يتم تسليم الحمراء والحصون والقلاع مقابل تمتع أبي عبد الله وورثته بحق الملكية في أماكن أحد عشر و قع التنصيص عليها و دفع هبة إلى الملك المسلم قدرها 000. 30 جنيه قشتالى من الذهب تعادل (000. 550) مرابطي بعد تسليم الحمراء وبقية القلاع وعند رغبة الملك أبي عبد الله و الملكات و زوجة مولاي أبي الحسن علي والدة الملك العبور إلى العدوة فسوف تجهز لهم سفينتان كبيرتان من مدينة (جنوة) للجواز متى يشاءون وبحوزتهم كل أموالهم مع تامين و صولهم لأي مكان معروف سواء بالمغرب أو الإسكندرية أو تونس أو وهران. و قد ذيل الاتفاق بتوقيع الملكين الذين أديا القسم بدينهم و أعراضهم أن يصونوا المعاهدة إلى الأبد.

<u>حملة التنصير و التهجير</u> وتولى إدارة غرناطة نيابة عن الملكين مجلس كان على اتصال سري بالبابا الاسكندر السادس الذي كان كردينالا وأسقفا لبلنسية وقد اعتبر المجلس شروط المعاهدة باطلة ففرض على المسلمين أحد أمرين وهما التنصير القسري أو التهجير القسري حيث صدر أمر منذ ثاني يناير 1492 بإحراق مليون و خمسمائة ألف كتاب ديني بما فيها من الوثائق والمخطوطات لإبعاد المسلمين عن مصادر عقيدتهم

(Francisco Piferrer : Nobiliario de los reinos y seniarios de Espمna.T.VI, Madrid, 1860, p.138

و قد استعمل الاسبان لضمان التنصير أخذ الأطفال المسلمين الذين تتراوح أعمارهم ما بين 5–12 سنة لتربيتهم في المعاهد المسيحية و إعادتهم إلى أهلهم كجواسيس عليهم وكانت الملكة (إيزابلا) أشد تعصبا في ذلك من زوجها (فرديناند) وفي أول سنة (1.500) تقرر إرسال الرهبان إلى مملكة غرناطة للتبشير بالكاثوليكية ريثما يتم التنصير القسري بالعنف و التشريد حيث تم تأسيس (120) كنيسة لهذه الغاية (في بلنسية) عام (1535م) وتكتل كل رجال الكنيسة ضد المسلمين عدا الأب (إيرناندودي تالافيرا) مطران غرناطة الذي درس العربية واظهر رفقا و تسامحا (Villa Real y Valdivio) في كتابه (دروس أولية لتاريخ نقدي لاسبانيا – طبعة غرناطة 1899 – ص 382) و قد حرم المدجنون (وهم المسلمون الذين ظلوا على دينهم بين الاسبان قبل سقوط غرناطة) و ألحقوا بمصير (الموريسكيين) المقيمين في غرناطة من اقتناء الأراضي لتوطين الاسبان في أماكنهم ومزجهم بالنصارى حتى يفقدوا كل صلة بدينهم و لغتهم (Perez Bustamente C في كتابه (جماع تاريخ اسبانيا) طبعة مدريد 1946 ص 359) و أدى بهم ذلك إلى تهديم كل الحمامات العمومية لمنع المسلمين من الغسل في مجموع أنحاء غرناطة و فرض عليهم ضرائب جديدة ضمن مختلف التعسفات التي أدت إلى ثورة المسلمين مرارا عديدة بل عزل المسلمون عام (1498) عن بقية المجتمع الإسباني تمهيدا للتنكيل بهم فأزهقت أرواح الأبرياء (تاريخ مارمول حول ثورة الموريسكيين في مملكة غرناطة. الطبعة الثانية م.1– مدريد 1797 ص 112) و تم حرق آلاف الأشخاص على يد محاكم التفتيش التي سبق تأسيسها منذ القرن الثالث عشر الميلادي من طرف الكنيسة الكاثوليكية لتحمي نفسها من الديانات الأخرى و قد تعززت في اشبيلية عام (1480) ثم في قشتالة واراغون عام (1482) ثم امتدت عام (1516) إلى قطلونية وبلنسية و حتى أمريكا إلى أن اختفت في القرن التاسع عشر Orti y Lara (Juan Manuel) في كتابه (محاكم التفتيش – مدريد 1877) و قد تأججت نيران الثورة الإسلامية في البشرات عام (1501) .

وفي عام 1499 انتفضت (البيازين) فاضطر المسيحيون الموريسكيين و المسلمين من أصل اسباني المعروفين ب (Elches) الذين كانوا في طليعة من أخذتهم الكنيسة لتربيتهم وإجبارهم على العودة إلى النصرانية) فشكل الثوار مجلسا من أربعين عضوا ليمثلوا حكومة موريسكية مستقلة منفصلة عن الأسبان وبعد تهدئة سطحية للثوار قرر الملكان الكاتوليكيان تعميد المسلمين قسرا ضمن (محاكم التفتيش) فلجأ الموريسكيون إلى رؤوس الجبال يتحصنون بها و يشنون من معاقلها غارات على الأسبان فكان رد فعل الملكين إصدار أمر عام (1501م) يحرم على الموريسكيين ممارسة كل ماله صلة بعقيدتهم و لغتهم فتزايد الاعتصام بمراكز المقاومة في الجبال ولعل هذا التدبير الجديد هو الذي كان أحد أسباب ثورة منطقة البشرات جنوبي غرناطة في نفس السنة وكذلك في قرية سيرادي فيلا بريس (بالمرية) فقام الأسبان بتقتيل النساء والأطفال والشيوخ في قرية (غويخار سيرا) التي التحق رجالها بالمجاهدين الذين عز عليهم تحويل مساجدهم إلى كنائس فحرقوا إحداها في (مونديخار) و هي قرية عمل أهلها على إجبارالملكين على الوفاء بشروط معاهدة غرناطة خاصة بعد استيلاء الموريسكيين على عدة قرى و لكن قوات الأسبان تمكنت من إخماد الثورة عام (1502) فتضاعف الاضطهاد ونكث الأسبان معاهدة (بسطة) التي سمحت عام (1501) للمسلمين بالاطلاع على جوانب من الثـقافة العربية واستعمال ثيابهم وحماماتهم فحظروا عليهم صراحة تطـبـيـق الشريـعـة الإسلامية و اقتناء الكتب الدينية (لاسيما منها المصحف الشريف) ولم يتمالك الإسبان أنفسهم أمام هذه الثورات العارمة إلى أن جعلوا الموريسكيين أمام أحد خيارين : التنصير القسري أو التهجير خارج اسبانيا و تم بالفعل تمسيح أكثر من (50.000) مسلم في غرناطة وضواحيها علاوة على تحويل مسجد العاصمة إلى كنيسة كبرى و كذلك مسجد (البيازين) وإجبار المسلمين على نبذ ملابسهم العربية و لبس القبعات وترك لغتهم و تقاليدهم وأسمائهم العربية وتعويضها بالإسبانية مما يفسر ما اضطر الموريسكيون إلى حمله من ألقاب أجنبية في مهاجراتهم بأرض المغرب وهنا وجه الموريسكسون نداءات حارة إلى إخوانهم خارج العدوة فاستخدموا ملوك المغرب حيث كان قد صدر منذ عام (637 هـ) ظهير شريف للخليفة الرشيد منح حق الاستيطان و خاصة الرباط لأهل شرق الأندلس كما استغاثوا بالخليفة العثماني (بايزيد الثاني) (1481-1512م) الذي اكتفى نظرا لمشاكله الداخلية بتوجيه كتاب إلى الملكين الكاتوليكيين فلم يعيراه كبير اهتمام واستنجد الموريسكيون كذلك بالملك الأشرف فانصوة الغورى(1501 – 1516) سلطان المماليك بمصر والشام الذي هدد بإجبار نصارى بلاده على الدخول قسرا في الإسلام وذلك عن طريق وفد رسمي وجهه إلى اسبانيا ولكن الأسبان واصلوا اعتداءاتهم الصارخة المنافية لشروط الاستسلام و إزاء تقاعس العالم الاسلامي عن نجدتهم اضطر الكثير منهم إلى قبول الأمر الواقع متظاهرين بالدخول في المسيحية بينما هاجر آخرون إلى نواح مختلفة منها جنوب فرنسا الذي نجد فيه منطقة تحمل اسم الموريسك بل غامر البعض فرافق (كريسطوف كولمب) في رحلته الاستكشافية إلى أمريكا.

وهكذا ظل معظم الموريسكيين منتشرين في أنحاء غرناطة والمرية ووادي آش و بسطة متظاهرين بالمسيحية مع مواصلة التمسك سرا بالشعائر الاسلامية تقية و خوفا من بطش (محاكم التفتيش) و امتد السطو إلى المدجنين في بلنسية و أرغون غيرأن الأسبان شعروا بمهزلة هذا التنصير القسري فنهجوا أسلوبا جديدا هو التهجير الاجباري مس حتى مسلمي قرطبة و قشتالة واشبيلية و ليون و اتخذوا في حق اليهود نفس الخطة و سمـوهم « maranos » محتفظين للمسلمين بلقب "موريسك" على أن طرد اليهود الاسبان قد صدر في حقهم مرسوم ملكي قبل ذلك بتاريخ (31 مارس 1492) ثم عمم نفس الاجراء منذ عام (1499) ضد المدجنين و قد وقع الاسبان في حيرة كبرى امام تضخم ردود الفعل الموريسكية وتجددت الثورات عامي(1567 و1570) في غرناطة مما حمل الاسبان على نقل الغرناطيين إلى قشتالة ثم ثارت أرغون عام (1585) و أصدر (فيليب الثالث) عام (1609) مرسوما لنفي أندلسيي بلنسية مع منعهم من بيع أو إتلاف أملاكهم ثم نفي (الهورناشيروس) أعقبهم (1610) كل سكان الأندلس واسترامادور Estremadure و احتفظ الإسبان بأبنائهم من ست سنوات من بينهم (300) طفل في اشبيلية وحدها و كان المطرودون (275.000) نقل منهم إلى السواحل المغربية أربعون ألفا (40.000) و بقي معظمهم قرب السواحل الأسبانية في سبتة و تطوان و مراكز أخرى

بالمضيق لاستنشاق هواء الأندلس من حيث تواردوا في ثياب قشتالية يتكلمون الاسبانية ويحملون أسماء مسيحية لطول مكثهم بين الاسبان محرومين من تراث أجدادهم الفكري و كتب دينهم و لغتهم ولذلك سماهم البعض (مسيحيي قشتالة) ووهم الناس في قسم منهم فعذبوهم لهذا السبب وقد علقت مصادر عربية على قرار النفي الصادر في (22 شتنبر 1609/جمادى الثانية 1018 هـ) فوضعت تاريخ القرار عام 1016م أو 1017 هـ غير أن كتاب تاريخ الدولة السعدية يؤرخ الحادث بعام 1018 هـ (ص 96) وهذه الأحداث و الاضطرابات و أصناف التنكيل قد تمت نتيجة استسلام أمير غرناطة للإسبان بعد أن جاهد أجداده للحفاظ على ءاخر معقل بالأندلس. و كان علي بن سعد بن نصر قد تربع عرش مملكة غرناطة بعد سلسلة ملوك و أمراء توارثوا أريكة بني الأحمر و كان قبالته في قشتالة وأراغون الموحدتين منذ (1469) الملك فرناندو و زوجته إيزابيلا و في الوقت الذي اتحد فيه أمراء الطوائف المسيحية دب الخلاف بين علي و أخيه محمد أبي عبد الله المعروف بالزغل و ابنه المعروف بالصغير الذي نازع من جهته عمه الزغل فنتج عن ذلك تفتت القوى الإسلامية و تشعب الاتجاه وسقوط آخر مملكة إسلامية بالأندلس (يوم ثاني يناير 1492 /ربيع الأول 897هـ) أضف إلى ذلك دسائس زوجة الأمير علي (ثريا) الاسبانية (إيزابيل دو سوليس) Isabel de Solis وكان لأبي الحسن علي ابن أكبر هو أبو عبد الله محمد الذي حرف اسمه إلى بوعبديل (Boabdil) وتزعم بعض المصادر الأسبانية أن ولدين هما (سعد) و(نصر) من إنجاب الزوجة القشتالية رافقا والدتها بعد سقوط غرناطة و اعتناقهما المسيحية و انهارت قوة أبي الحسن منذ عام (1478) حيث طلب من الملكين الكاثوليكيين مهادنة أبياها أول الأمر ثم أذعنا بعد نصر خاطف لبني نصر و لكن الأمر المحتوم و قع بسبب اطراد الصراع بين الأمراء المسلمين فاحتل الاسبان بلدة (الحمة) عام (1482 م/887 هـ) مما حدا الأمير أبا الحسن إلى إرسال سفارة إلى فاس مستنجدا بملك المغرب و لكن الأحداث توالت بسرعة فتراجع الأمير علي إلى مدينة غرناطة ووقع جنود مسلمون في الأسر و في ضمنهم أبو عبد الله الصغير الذي نقل إلى قرطبة ومنها إلى قلعة (بركونة) و بعد تحريره من القيد اتجه لاجئا إلى قرطبة فحماه القشتاليون ضد والده الذي ما لبث أن تنازل عن الملك لأخيه (الزغل) إلى أن توفي عام (1845 فدفن بروضة الأمراء في غرناطة وهنا زحف أبو عبد الله الصغير صوب غرناطة فتزايد ضعف كليهما باقتسامهما مملكة غرناطة مناصفة فكان للزغل مالقة و المرية والمنكب والبشرات (Alpujarra) ولابن أخيه مرسية وما تبقى من المملكة فاستقر (الزغل) في قصر الحمراء و سطا أبو عبد الله على حي (البيازين) فنزل بها وحارب عمه تلبية للملك (فرناندو) بتحريض من أمه الإسبانية فازدادت شعبية (الزغل) الذي واصل انتصاراته ضد الأسبان مما أدى إلى مجازر استعاد أبو عبد الله غرناطة على أشلاء إخوانه المجاهدين المسلمين يوم (26 رمضان 892هـ /15 شتنبر 1487) فقرر (الزغل) في غير حياء الانضواء تحت لواء الإسبان ضد ابن أخيه الخائن متنازلا لهم عما كان بيده من أقاليم بين وادي آش وغرناطة مقابل احتفاظه ببسطة والمرية اضطر لتسليمها بعد ثلاث سنوات (895هـ/1489) بعد خيانة ابن عمه يحيى النجار الذي تزعم المصادر الاسبانية أنه تمسح فلقب الغرناطي بنيغيش Venegas و هنا اضطر (الزغل) إلى استيذان الإسبان في الجواز إلى المغرب الذي لم يقتبله ملكها المريني بحفاوة نظرا لصداقته مع أبي عبد الله الصغير بل نكل به على ما (زعمه "مارمول" في كتابه "تاريخ الثورة و عذاب مسلمي غرناطة المتنصرين" م. 1 ص 75) فلم يلجأ إلى (بادس) كما يزعم (مارمول) بل توجه إلى وهران ثم تلمسان طبقا لما كتبه المقرى في (نفح الطيب) (ج6 ص 275 طبعة مصر1909) ثم جاء دور أبي عبد الله الصغير فأرغم على تسليم غرناطة و طرد من اسبانيا بعد خيانة و زيره (يوسف بن كماشة) فغادر الأمير بلاد الأندلس في (أواخر ذي الحجة 898 هـ/ اكتوبر 1493) إلى فاس مع ذويه و كامل حاشيته استقبلهم السلطان محمد الشيخ الوطاسي فعاش في كنف البلاط الملكي إلى أن توفي بعد زهاء نصف قرن (940هـ/1534م) (النفح ج6 ص 281).

و قد أثار هذا النكال و العسف الذي أصاب الموريسكيين المنصرين و كذلك بقية الأندلسيين و ءاخر ملوكهم الأمير أبا عبد الله موجة من الاستنكار في العالم الإسلامي و حتى داخل الأندلس حيث تقدم ثلاثة ممن اجبروا على التمسح بمذكرة بمظالم إخوانهم الموريسكيين حول ما لحقهم من اضطهاد

وتنكيل منذ سقوط غرناطة وحتى من طرف (شارل الأول) عام (924 هـ/1518) فكان ذلك ذريعة للتشديد على الموريسكيين وصهرهم بالقوة في المجتمع النصراني فتفاوض الموريسكيون الثلاثة سريا مع الملك شارل الأول فألغيت القرارات الجديدة التي شددت المراقبة على استعمال اللغة الاسبانية وحدها وترك كل ما يذكر الموريسكيين بصلتهم بالشريعة الإسلامية (ترك الاحتفال بالأعياد و إقامة حفلات الزفاف في الكنيسة وبناء معاهد كاثوليكية لتربية أبناء المسلمين على الدين المسيحي وغير ذلك) و تم هذا الإلغاء عام (1526م) مقابل دفع الموريسكيين للملك 80.000 دوكة ولكن القرارات ما لبثت أن أعيد العمل بمقتضاها عام (1559م) فتزايد التنكيل الذي عم مسلمي طليطلة وسيقوبية وسمورة وسالامنكا وبلنسية وأرغون وقطلونية. و في هذه الظروف الحالكة اضطر ألوف المهاجرين إلى الانتقال عام(1016هـ) أو (1017) (وقيل 1019هـ) إلى فاس وتلمسان ووهران و تونس حيث أوسع لهم صاحبها حسب (الخلاصة النقية في أمراء افريقية) (عثمان داي) كنفه فبنوا نحو عشرين قرية و علموا الناس الحرف و تقاليد الترف و قد تعرض لهم (المقرى) في نفح الطيب (ج2 ص 617 – طبعة مصر 1302) فذكر أن ذلك كان عام (1017هـ) و انهم ذهبوا كذلك إلى تطاون وسلا والرباط و مصر والشام و قد سلم أكثر من نزحوا إلى تونس في حين تسلط الأعراب عليهم في فاس و أحواز تلمسان فنهبوا أموالهم وقد وصلوا سالمين إلى تطوان و عدوتي أبي رقراق و فسحة الجزائر (نشر المثاني ج 1 ص 101) وكان عددهم نيفا وستمائة ألف (الأنوار السنية لمحمد بن عبد الرفيع الأندلسي الذي عاصر هذه الأحداث) وقد أسس المهاجرون بتطوان (رباط الأندلس) بحومة السانية حوالي عام (1020م) (تاريخ تطوان– داود ج7 ص182) نقلا عن أبي محمد سكيرج). وقد أوردت هذه الأحداث مراجع عربية : (تاريخ الدولة السعدية ص 38/نشر المثاني ج 1 ص 105/ (الاستقصا ج 3 ص 100)/تاريخ تطوان ج 1 ص 429) إلا أن صاحب (الاستقصا) لاحظ أن أول فوج من المهاجرين كان عام(891 هـ /1486) أي بعد استيلاء الاسبان على غرناطة بست سنوات ويظهر أن الهجرة تمت في فترات و أن ملك المغرب قد عمل على الاستفادة من هؤلاء المهاجرين لتعمير السواحل و الحواضر الهامة.

و الواقع أن عددا كبيرا من النازحين الأندلسيين قد وصلوا إلى المغرب في عهد الخليفة السعدي عبد الله الغالب بعد عام (977هـ/1569م) فأدمجهم في جيش سماه (جيش الأندلس) تحت قيادة سعيد الدغالي و كان هؤلاء الغرباء قد نزلوا بتطوان و الرباط ومراكش وأقطعهم السلطان أراضي بالجانب الغربي من فحص مراكش و هو رياض الزيتون (مناهل الصفا مختصر الجزء الثاني ص 20) و قد أصبح قائد هذا الجيش في عهد احمد المنصور هو محمد بن زرقون المعروف بالكاهية (وثائق دوكاستر س.أ – السعديون م. 1 ص454 –532 /م.2 ص 45) /الاستقصا ج3 ص 101) وأول من وصل من الأندلسيين الهورناشيروس Hornacheros الذين احتفظوا بأموالهم لأن فرارهم من الأندلس كان طواعية من تلقاء أنفسهم وقد بلغ عددهم (800) رجل تحملهم مولاي زيدان واضطربت الحياة في العدوتين بمجيئهم وقد استقروا بالرباط حيث ساعدتهم أموالهم على تسليح سفن قرصنية انطلاقا من معقلهم في (القصبة) وكانت العدوتان آنذاك خاضعتين عام (1609م/1018هـ) للمولى زيدان ابن منصور السعدي غير انهم عمدوا في نفس الوقت حسب مذكرة مؤرخة سنة (1621م/ 1031هـ) إلى تجديد بناء الرباط و لم يعارض المجاهد (العياشي) في نزولهم بالقصبة التي قاموا بتحصينها بسور و أبراج و بنوا دورا و أفرانا و حمامين اثنين و جلبوا على حسابهم أندلسيين من باقي أنحاء المغرب و أسكنوهم خارج القصبة فما لبثوا أن تحرروا من ربقة المولى زيدان الذي كان يرغب في إدراجهم في جيشه فطردوا القائد الزعروري و اضطر زيدان إلى التنازل لهم عن مداخيل ديوانة المرسى و في عام (1627م/1037هـ) استقلوا تماما عن المملكة و طردوا القائد (عجيب) وشكلوا (ديوانا) على نسق آيت الأربعين بكل من الأندلس و الأطلس (راجع آيت الأربعين) و كان عدد أعضائه ستة عشر رجلا و قد سيطر الهورناشيروس على أندلسيي رباط الفتح طوال خمس عشرة سنة(1627–1641م (1037هـ–1051هـ) معززين بالدخل الجمركي الذي ساعدهم على التسلح ضد سكان العدوتين فلم يسع (العياشي) إلا التحرك عام (1630م/1040هـ) لاحتلال القصبة فبدأ يناور بين سكان شقي الرباط (المدينة والقصبة) الذين بادروا بالتصالح فيما بينهم لاسيما وأن القبائل المجاورة كانت تتربص بهم

فاتفقوا على قائد يقطن القصبة ينتخبه سكان المدينة مع الحصول على ثمانية أعضاء في الديوان ونصف مداخيل الديوانة.
وكان قائد الهورناشيروس هو عبد القادر سيرون و قائد أندلسيي الرباط هو عبد الله بن على القصري وكان العياشي يجاهد آنذاك ضد اسبان (المعمورة) فاتهم كل من لم يساعده على محاربة العدو في المهدية (أي المعمورة) والعرائش لا سيما و إن الأندلسيين امتنعوا من إمداد العياشي بمدافع و لعلهم كانوا يخشون أن ينقلب ضدهم و أن يحاربهم بسلاحهم فغضب العياشي واستصدر فتوى من العلماء لمحاربتهم فحاصركلا من القصبة والرباط وأشعل فتيلة النزاع و الصراع بين العدوتين خلال عشر سنوات (1631-1641) إلى أن توفي في هذه السنة فاستقر ولده مع (500) فارس في (شالة) للحيلولة دون إمداد الضفة اليسرى للوادي و قد استنجدت الرباط بالمولى الوليد منذ عام (1632) فرفع العياشي الحصار و لجأ إلى منطقة (الغرب) و في عام (1636م/1046هـ) استولى الأندلسيون بالحيلة على القصبة و طردوا منها (الهورناشيروس) الذين لجأوا إلى سلا بالقرب من العياشي و أصبح (القصري) الرئيس الوحيد فقرر الاستيلاء على سلا وبنى قنطرة من المعديات (قوارب) لنقل عتاده وجنده وحاصر المدينة خلال شهرين (يناير ويبراير من عام (1637) فاستغاث السلويون بالعياشي الذي هب بسرعة معززا بالأميرال الإنجليزي رانسبوروغ Rainsiborough الذي رابط بأسطوله بدعوى تحرير الأسارى الانجليز فحطمت مدافعه القنطرة وقنبلت القصبة والسفن المرابطة بالمرسى فانحاز القائد (القصري) إلى الرباط فعمد العياشي إلى محاصرة القصبة للمرة الثانية مستنجدا بالأمير السعدي الأصغرالذي وجه (محلة) لم تستطع الوصول إلى الرباط نظرا لاتفاق العياشي آنذاك مع الأمير الدلائي محمد الحاج و كان الإنجليز قد اظهروا الميل إلى المخزن فأخضعوا القصبة و سلموا (القصري) إلى السلطان الذي استمع إليه و أدرك بعض أسرار الدسيسة فأرجع القائد القصري إلى الرباط لاستيناف مهامه حيث بادر بإعدام الثوار وتزعم المصادر الأجنبية أن سكان القصبة فكروا خلال هذه الفترة المضطربة في تسليم القصـــبة للمسيحيين ففاوضوا عام (1639م/1049 هـ) مبعوثا أسبانيا هو الدون جوان Don Juan de Toled الذي ورد بحرا من (المعمورة) واتفقوا معه على تسليم القصبة لملك أسباني الذي كان يعتزم توجيه خمسمائة جندي لاحتلالها و لكن القائد القصري أفشل المناورة الأسبانية وفي عام (1638) رفع (العياشي) الحصار على الرباط بعد مقتل القصري فجدد (الهورناشيروس) محاولتهم احتلال القصبة بعد أقل من ثلاثة اشهر فحاصروا بها الأندلسيين دون أي تدخل من السلاويين وهنا استغاث الأندلسيون بالدلائي محمد الحاج وكان للعياشي ضلع في حصار القصبة فاستماله الأمير دون جدوى و أجبر الهورناشيروس سكان الرباط على رفع الحصار عن القصبة عام (1640) فانهزم العياشي الذي قتل في (30 ابريل 1641) وبعد موته انصاعت العدوتان مع القصبة للدلائيين و كان العياشي قد كتب للأمير محمد الحاج ملاحظا أن اختلاف الفريقين يمس بالإسلام نظرا لاتفاق جانب ضد آخر مع الأعداء.
وقد اتهم العياشي أندلسيي الرباط بخيانة قضية الإسلام عند حصار (المعمورة) مما برر وصمهم بنصارى قشتالة ورسخ ءانذاك تنابز وتصارع سكان العدوتين وهنا اشتد الصراع بين الضفتين وإن كان الدلائيون قد امتلكوا المراكز الثلاثة في مصب أبي رقراق إلى عام (1071هـ/ 1660م) دون نزاع و لكن الأندلسيين والهورناشيروس لاحظوا شدة وطأة الدلائيين الذين هاجموا القصبة مع السلاويين فانبرى (الخضرغيلان) لمحاربة جيوش الدلائي وحاول قائد الرباط السطوعلى القصبة ففر قائدها – حسب المصادر الأجنبية في سفينة انجليزية و في (16 أبريل 1661) استسلمت القصبة فاتفق الثلاثة (العدوتان والقصبة) على اقتسام مداخيل الجمرك و في ثالث مايه من نفس السنة خضعت القصبة للخضر غيلان وعين (أحمد الجندي) قائدا عليها فطرده أحد إخوة غيلان و خلفه القائد (عبد القادر مرينو) بانتخاب مشترك من الأندلسيين والهورناشيروس كما عين الحاج (محمد فنيش) على رأس مدينة سلا و لكن هذه الفوضى التي استمرت عقودا من السنين حاول الأعداء استغلالها لتركيز نفوذهم بالمغرب قد جعل لها حدا الأمير العلوي مولاي رشيد في يونيه (1666 م/1077هـ) عندما تمكن من الاستيلاء على المنطقة دون اصطدام فكان ذلك ءاخر مرحلة لاضطراب الحياة في العدوتين.

- **الأندلسيون في العهد العلوي :**
ظل سكان الرباط في اغلبهم اندلسيين و إن كان مهاجرون ءاخرون قد انضافوا إليهم من مختلف أنحاء المغرب وقد واجه المولى إسماعيل مشاكل شتى عند اعتلائه عرش المملكة فبادر من اجل تحرير الجيوب التي كان يحتلها الإسبان وتوحيد البلاد إلى تعزيز جيشه بمشرع الرملة بين سلا و مكناس حيث بلغت أعداده مائة و خمسين ألف رجل فحرر السلطان المجاهد المعمورة عام (1029هـ/1681م) و العرائش عام (1101هـ/1689م) و أصيلا عام (1104هـ/1692م) و طنجة عام(1096هـ/1684م) وواصل الاتصال بفرنسا للحصول على السلاح فاصطدم بقضية الأسرى المغاربة الذين كان ملك فرنسا (لويس الرابع عشر) يستخدمهم في زوارقه و قد جعل المولى إسماعيل حدا للاضطرابات التي كانت ناتجة عن وجود أمراء طوائف مستقلة و عن تنازع الإخوة الأندلسيين في عدوتي أبي رقراق وذلك بتأسيس (76) قلعة على طول البلاد و عرضها على أن الصراع بين العدوتين قد انتهى عمليا في عهد الرشيد حيث خضعت الرباط و سلا للسلطة المخزنية و أصبحت القصبة معقلا حربيا للسلطان و بذلك استطاع المولى الرشيد منذ عام (1671/1082) تعيين قائد واحد للمدينتين ومن الرباط أحد مراكزه الاستراتيجية توجه المولى الرشيد ضد الدلائيين فانتصر عليهم في (8 محرم 1079) و ضد الشبانات بمراكش في نفس العام و ضد (ايليغ) بسوس في (15 صفر 1081) فأعلنت السوس طاعتها و توحد المغرب بعد جهاد دام سبعة أعوام هي مدة حكم المولى رشيد الذي عزز تحصين الرباط ببناء قلعة قرب القصبة.
و في عام (1109/1697م) تحدث القنصل Estelle عن وجود قائد لكل عدوة وخضوع القصبة لقائد خاص و بجانبه قائد للمرسى يهتم بالتجار الأجانب و بالملاحة وكان القواد خاضعين للسلطان حيث سجن المولى الرشيد أحدهم عام (1080 /1669م) نظرا لسوء معاملته لاثنين من الرعايا الإنجليز ولم يكن ذلك خوفا من دول أجنبية و إنما رعاية لحقوق الأجانب ومصالحهم المشروعة و قد قام المولى إسماعيل بنفس العمل ضد قائد ءاخر عام (1111 هـ/ 1699م) و لهذا لم يقع أي اضطراب في المنطقة أيام الأميرين الرشيد وإسماعيل و كان القواد آنذاك هم أحمد بن حدو و الحاج عبد القادر مرينو و الحسن بن محمد اسكير دو و العلج عبد الله الحاج قائد سلا و كان قائد القصبة عام 1682 زنجيا هو سعد علال بولعوان البخاري الذي ظل قائدا إلى عام 1686 و في عـــام (1199هـ/1687م) لم يعد ميناء أبي رقراق يتوفر على أكثر من ثمانية إلى عشرة مراكب حربية مسلحة و الواقع أن القراصنة كانوا يثيرون مشاكل ففي عام (1670م) هاجمت ثلاث بواخر إنجليزية مراكب القراصنة وكذلك الأسطول الهولندي و في نفس السنة أغارت القطع الحربية الفرنسية على الميناء مرارا (أعوام 1670 -71-80-81) فأسرت قراصنة وكان المولى الرشيد قد أمر يوم (30 يوليوز 1671) وإلى القصبة بمواجهة أسطول الأميرال الفرنسي d'Estrées بأفواه المدافع (راجع تاريخ فتوح الرشيد ص 154) فأطلق الفرنسيون في ساعة ونصف مائة قذيفة دون أن تتضرر من ذلك المدينة و لا القصبة و في عام (1681) أسر الفرنسيون خمس بواخر قرصانية و حطموا بعضها و نظرا لصعوبة الدخول إلى الوادي بسبب الحاجز الرملي (Barre) اكتفى الفرنسيون طوال ربع قرن (1700-1726) بمراقبة الساحل دون الوصول إلى الميناء و كانت للمولى الرشيد أربع بواخر عام 1671 وأصبح للمولى إسماعيل ستة أو ثمانية مراكب عام 1698 استطاعت منذ عام 1694 إطلاق نيران مدافعها على بواخر انجليزية كانت تحمل (العلم الأبيض) وكان مقصودها تحرير الأسرى الذين بقي عددهم (250) رجل وكان المغرب يستورد العتاد ومواد صناعة السفن من هولندا و ظل مع ذلك بعض الخواص مثل عبد الله بن عائشة أميرال سلا و سفير المولى إسماعيل بفرنسا عام (1698) يملكون مراكب قرصنية وبذلك تقلص عدد المراكب الجهادية التي تراوحت فترة ازدهارها بين سنتي (1630) و(1640) و لم يعد للقراصنة عام (1669) سوى سبع فركاطات و مركبين وأصبح ميناء الرباط وسلا مع ذلك ابرز مركز مع (تطوان) للمتاجرة مع الدول المسيحية و انقضى بذلك عهد السطو الإسباني على الميناء من (المهدية) التي حررها المولى إسماعيل كما حرر العرائش و أصيلا و طنجة وكان الاسبان قد اتخذوا من (المعمورة) (المهدية) قاعدة لهم طوال سبعين سنة (70) من عام (1022هـ الى 1092م) (1613-1681) و قد بلغ عدد البواخر الفرنسية و الهولندية و الإنجليزية التي ترددت على المرسى

طوال سبع سنوات (1720–1727) مائة سفينة معظمها انجليزي الجنسية نقلت إلى المغرب عن طريق ميناء الرباط القطنيات والورق والأفيون والزجاج والجوخ والقماش وأنسجة الكتان و التوابل والبارود والسلاح ومواد صنع السفن وقد مارس كل من الإنجليز والهولنديين تجارة التهريب مقابل مواد مغربية هي الجلود والأصواف والصمغ والنحاس (لتذويب المدافع) والنافع (الأنيسون) و حتى الذهب رغم تحظير إصداره بالمغرب.

وعندما حاصر الإنجليز مصب أبي رقراق عام 1684 أمر السلطان التجار الإنجليز بمغادرة جميع مراسي المغرب وكان الفرنسيون ءانذاك يحظون بمعاملة حسنة من طرف المولى إسماعيل مما ادهش الرباطيين و لعل ذلك راجع لعدم الخوض في غمار التهريب قبل سنة 1697 غير أن التبادل التجاري مع فرنسا أوقف عام 1687 لأكثر من سنة وكانت رسوم الإصدار والإيراد قد بلغت عشر قيمة البضاعة فوصل دخل الديوانة خلال عام و نصف (من يناير 1697 إلى يونيه 1698 حسب القنصل إيستيل Estelle) في ميناء الرباط وحده (20.000) ليرة دفع الفرنسيون منها خلال عام (1698) نحو عشرين ألف ريال فرنسي. وكان (حي القناصل) بالمدينة غاصا بقناصل إنجلترا و هولندا و فرنسا و ممثلي بعض الدول الأوربية من اليهود علاوة على تجار مسيحيين كانوا يشترون من القراصنة غنائمهم لبيعها بأوربا مع إفراد أمريكا الجنوبية بمواد خاصة هي الخموروالزبد والزيتون والبرتقال باللحوم والأسماك المملحة وظل التبادل مع فرنسا موصولا خلال عقدين من السنين إلى عام (1718) حيث أقفلت القنصلية الفرنسية و كان عدد التجار الفرنسيين بالرباط خمسة معظمهم من البروتستانت يمزجون التجارة بالتبشير و كان من بينهم Pillet الذي اعتنق الإسلام و تولى مناصب مخزنية و ظل يواصل تجارته ضمن التجار الرباطيين من مسلمين و يهود.

وقد تولى عمالة الرباط أبناء المولى إسماعيل و هم (عبد الكريم) عام (1150هـ/1737) و أعقبه في نفس السنة الأمير المهتدى).

وعندما ضعف أمر السلطان المولى عبد الله بن المولى إسماعيل وتشعب حكمه عام (1166هـ/1752) عاد الأندلسيون إلى تمردهم فشكلوا مجلس الأربعين مع الحفاظ على النظام القيادي الذي أقامه العلويون حيث توالى على الرباط القواد احمد و زهرة و اللوشي وصيدون و ابن جندار وحجو مرينو (تاريخ الضعيف ص 156 طبعة الطاهري بالرباط) وفترة الفوضى هذه قد استمرت نحوا من ثلاثة عقود ثار خلالها الأمير المستضيء عام (1151/1738) ضد أخيه المولى عبد الله فاستقر بسلا عام 1743 وانضم إليه السكان عدا من لجأ إلى الرباط التي امتنعت من الانصياع للمستضيء وحاربت السلاويين فحاصر الأمير القصبة و المدينة خلال (14) شهرا حتى اضطر إلى الجلاء (رحلة شينيي Chénier م. 3 ص 449) و عندما طرد الأمير محمد بن عبد الله مع جيش العبيد من مراكش حيث كان خليفة لوالده و كان قد مهد منطقة الحوز لجأ إلى أسفي وحذا الرباطيون حذوه فحاصروا أخاه الأمير احمد بن عبد الله الذي كان عاملا على القصبة فاستسلم و لجأ أيضا إلى أسفي بجانب أخيه فطرد العبيد من القصبة ووزعوا على جوانب المدينة فهب المولى محمد بن عبد الله من منفاه متجها نحو الرباط حيث بات ليلته عام (1748 (حسب الزياني أو 1755 حسب شينيي) وسد قائد سلا عبد الحق بن عبد العزيز فنيش المدينة في وجهه ثم تنازل فعفا عنه. و قد حصن المولى محمد مدينة الرباط بالمدافع و العتاد وجدد بناء القصبة وحصن المولى الرشيد وبنى لحماية الشاطئ أبراج الخنزيرة (قبالة برج آخر بسلا والصراط وصقالة بن عائشة وبنى قصره بأكدال مع تجديد بناء (باب الرواح) (رحلة الغزال – مخطوط دار الوثائق بالرباط ج77 ص 12/تاريخ الضعيف ج1 ص157) و الواقع انه أعاد تخطيط الرباط و ترتيب نظام حاراتها و شوارعها و أزقتها وأسواقها و دكاكينها وديارها و نقل إليها ماء (عين عتيق) حيث وزعه على الأحياء عام (1188هـ) ولعله استكمله عام (1192هـ) و قد بنى خمسة مساجد منها (جامع السنة) وجوامع أهل فاس وأهل مراكش وأهل سوس وجامع القصبة (تاريخ الضعيف) و كان يتردد بين مراكش والرباط حيث وصل عام (1200هـ) لإقامة مراسم العيد على ضفة أبي رقراق حيث استقبل في قصره بأكدال السفير العثماني الوارد من طنجة فأطلقت المدافع من الأبراج والسفن ولعب الجنود البارود طوال اليوم (الترجمانة الكبرى للزياني ص 84) وأصبح المولى محمد سيد الرباط عام 1757.

فأسس الأسطول وحصن المدينة معتمدا على مداخيل الديوانة و على إمدادات (الاستانة) حيث وجه الحاج عبد الكريم ركون سفيرا عام (1767– 1768) لشراء قطع المدافع والبارود والعتاد مع جلب خبراء لإحياء (دار الصناعة المرينية) بسلا و يظهر أنه عدل عن ذلك (الاستقصا) وكان من بين الخبراء الأتراك الحاج سليمان التريكي الذي كلف بتكوين عرفاء رباطيين في هذا المجال وقد فند (كايي) في (تاريخ الرباط)
هذه المقولة بؤكد أن أهل العدوتين كانت لهم معرفة بذلك لمدة طويلة (راجع القصبة) وقد عزز السلطان ميناء الرباط وطور التجارة الخارجية انطلاقا منه و نقل إليه القناصلة من (أسفي) ثم بدا له أن يؤسس مدينة الصويرة فنقل إليها عام 1764 من كان بالرباط من تجار و قناصلة فتقلص بذلك نشاط (رباط الفتح) فانخفضت الرسوم الجمركية بالرباط إلى 20.000 بسيطة عام 1768 في حين بلغت رسوم الصويرة (150.000) وظلت رسوم العرائش كما كانت (60.000) بل منعت التجارة في أبي رقراق مع البواخر المسيحية التي فتحت لها أبواب العرائش و الصويرة و لكن ممثلي الدنمارك والسويد وهولندا ظلوا متمسكين بمقامهم بالرباط عام (1768) وانضاف إليهم تجار فرنسيون جدد عام 1778 (Penz, Journal du Consulat, p 162) و قد اعتبر (شيني) Chenier الرباط كأهم مركز تجاري في الساحل و لم يعدل عنها إلى الصويرة في نظرنا مع الإبقاء على نشاط ميناء العرائش إلا لأسباب استراتيجية و للقضاء في الجنوب على تهريب السلاح للثوار و تحرير الجديدة (مازاغان) و مع ذلك واصل تحصين الرباط وأقام القصر السلطاني بأكدال فكان ذلك مرحلة هامة في تاريخ المدينة أبرزها (كايبي) (ص 313) كعمل استأنف به محمد الثالث أمجاد المنصور الموحدي حيث تجاوز سور الأندلسيين الذي ضيق نطاق الرباط فامتدت خارج أسوار الموحدية نفسها جنوبا لتصبح مقاما ملكيا مهد لإحالتها الى عاصمة للمملكة لاسيما وأن الاستقرار عاد آنذاك إلى المنطقة التي لم تقع بها طوال العهد المحمدي أية ثورة عدا تمرد العبيد عام (1776) .
و في عام (1204) اعتلى الأمير اليزيد بن المولى محمد بن عبد الله عرش المغرب فتصدى لمحاربة الاسبان انطلاقا من مدينة الرباط التي كانت حاضرته المفضلة حيث كان يقيم خلال رحلاته التفتيشية لحاميات المراسي (مقدمة الفتح أبو جندار ص 67) و قد ظل السيد عبد الله بركاش واليا على الرباط في عهده و كانت لليزيد مواقف تتنافى مع استقامة والده فأغار على ملاح العدوتين يوم (16 أبريل 1790) و فرض عليه غرامة قدرها (50.000) مثقال و على حبر الرباط دابيلا Dabila أربعة آلاف رغم صداقته للوالي بركاش الذي نصح السلطان للتخلي عن ذلك (تاريخ الضعيف ج 2 ص 327).
و قد خلفه على العرش أخوه المولى سليمان (عام 1206هـ/1791) فانقسمت مدينة الرباط إلى فريقين أحدهما بجانب المولى سليمان و ءاخر خلف الأمير مسلمة و على رأسهم عباس مرينو و المحتسب المكي بن العربي فرج وبمجرد وصول خبر البيعة للمولى سليمان حشد مولاي مسلمة جيشا تجاه الرباط برئاسة القائد محمد الزعري الذي انهزم وقتل مرينو و لجأ المحتسب إلى الزاوية التهامية و ظلت الرباط خاضعة للمولى سليمان و قد نقل إليها من (أنفا) التجار المسيحيين بعد انهزام أهل الشاوية الذين بايعوا الأمير مولاي عبد المالك. و في العهد السليماني تكاثر سكان الرباط من النصارى
فازدهرت السياحة و التجارة الخارجية حيث رابطت بالمرسى نحو(65) سفينة قرب سيدي مخلوف و قد عزز التجار الرباطيون ذلك باقتناء سفن من أوربا و أصبح الحجاج يبحرون إلى الحجاز من مرسى أبي رقراق (تاريخ الضعيف ج 1 ص 323) و قد شدد السلطان الرقابة على صناعة السفن و إبحارها مما أدى إلى تمرد سكان العدوتين عام (1229هـ/1814م) باتفاق مع القائد عبد الرحمن عشعاش على تعويم سفينة صنعت بالرباط في دار صناعة قبالة جامع حسان (الضعيف ج 2 ص711) و كان سلامة نجل الغازي الشاوي قد قام قبل ذلك بسنتين (1227هـ/1812) باعتقال البحارة ونقلهم إلى سجن (المهدية) وعلى رأسهم الرايس و ولعلو مع ضابطين بالعرائش قبضوا من طرف الباشا محمد السلاوي و قد بدأت فرنسا تهدد المغرب منذ عام 1807 و تكرر التهديد عام 1210 وكان ذلك إرهاصا كما هي العادة لانعقاد مؤتمر فيينا عام 1814 ضد القرصنة مما حمل السلطان على منع البحارة المغاربة من السفر إلى أوربا مهددا بإعدام كل من خالف ذلك وقد قرىء كتاب السلطان عام

(1231هـ/1816م) بجامع القصبة مؤكدا تحظير دخول أي بلد أوربي من طرف الرياس المغاربة (تاريخ الضعيف ج 2 ص 741) و أطلق السلطان الأمر في نفس الوقت- تعزيزا لحماية المنطقة - ببيع البارود و السلاح (ج 2ص 426) لا سيما بعد أن احتل الفرنسيون الإسكندرية عام 1213 إلى أن وصلوا (الصعيد) على أن الإمبراطور (بونابارت) قد هدد المغرب منذ (1222 هـ/1807) بعد أن غلب الأوربيين (عدا الإنجليز) واحتل البوغاز و منذ ذاك هب المجاهدون من كل أنحاء المغرب و تم ميز القوات (أي استعراضها) بالمراسي و توارد ءانذاك جنود الشاوية بقيادة الباشا الغازي الشاوي فتجمع نحو 40.000 رجل في ضفة الرباط و عند تزايد التهديد أصبحت الرباط مخيما حافلا بآلاف الجند والمتطوعين الذين خفوا من سوس و دكالة و الشاوية وبني حسن لمواجهة العدو عند الاقتضاء واضطر السلطان في آن واحد إلى مواجهة تمرد بني أخيه اليزيد الأميرين إبراهيم وسعيد الذين ثارا عام 1821 محاولين احتلال المراسي و كان السلطان قد عقد لأخيه هشام على الرباط قبل ذلك بسنتين (1798) و انضافت إلى هذا الاضطراب عام (1799) و باء جارف كان يموت منه يوميا حسب المصادر الأجنبية مائة إلى 250 شخصا ففقدت الرباط ثلثي سكانها ولا يخفي ما في هذا الادعاء من مغالاة و قد تجدد الوباء عام (1818-1819) .

ولكن هذا كله لم يمنع السلطان المجاهد من مواصلة تعمير المدينة وكانت إشاعات المغرضين تتوالى بين الفينة والأخرى فتزيد في الطين بلة مثل ما وقع عام 1804 حيث أشيع موت السلطان فارتفعت الأسعار واعتقل السلطان بعض أثرياء المدينة وقد بنى مولاي سليمان جامع القبة وسقاية السويقة وملاح وقاصة و بالقرب منها جامع الجزارين بزنقة القناصل و هنا بدأت الإشاعات المتناقضة التي تناقلتها المصادر الأجنبية بعضها عن حسن نية ولكن دون أي تحر ولا تثبت فيما ينسب إلى السلطان اقتراحه على اليهود السكنى بالقصبة قبل أن يفكر في نقل الملاح من (البحيرة) إلى (وقاصة) و لعل بعض اليهود سكنوها فعلا و رفض الباقون مخافة أن يصبحوا هدفا لسفن أوربية و قد أنكر القصة (كايي) في كتابه (تاريخ الرباط ص 324) بدعوى أن من الصعب أن نتقبل صدور هذا الاختيار السلطاني إلى اليهود وهي حجة غريبة لا سيما و أن مصادر أخرى تعللها تعليلا منطقيا بأن ذلك راجع إلى رغبة السلطان في حماية اليهود فأسكنهم في قصبة محصنة (Archives du Protectorat, Lettre de Fouret ,1799) والواقع أن السلطان الذي صار يتفادى كل نزاع مع الأوربيين شعر بضرورة حماية رعاياه كلهم على اختلاف دياناتهم و جنسهم و قد نشر العمران بالمدينة فلم يترك فيها قطعة مغروسة داخ السور الأندلسي عدا (حي لعلو) والمساحة المقابلة للجامع الكبير التي صارت مقبرة تجاوز السور الموحدي ليحصن الجانب البحري و الساحة الجنوبية التي امتد فيها العمران بعد ذلك فيما عرف بحي المحيط حيث بنى قبالة البحر (قصر القبيبات) أو(دار البحر) و أصبح موقتا مقر (المستشفى العسكري) و تقول مصادر أجنبية (رحلة على باي عام 1804م 1ص 226) بأن القصبة كانت عبارة عن أنقاض لعدم اهتمام السلطان بها فكيف يعقل أن يقيم تحصينات جديدة و يهمل القديمة لاسيما وأن الرماة الذين كانوا يرابطون بالقصبة هم الذين شاركوا عام (1236هـ/1820) في حصار فاس البالي. وإذا كان السلطان قد نهج تجاه أوربا نهجا جديدا يتسم ببعض الليونة فإنه رفض الانضمام إلى الحصار القاري متحديا الإمبراطور (نابليون) في خلافه مع الإنجليز(1793-1815) و الواقع أن السلطان قلص نشاط القراصنة وإن كان القراصنة الأجانب كانوا يرتكبون جرائمهم و يلجأون إلى مرسى الرباط كما فعل الفرنسيون عندما لجأوا عام (1797-1212هـ) بعد نهبهم بواخر انجليزية وكانت دور صناعة السفن ما زالت قائمة وإن كان (علي باي) (رحلته م 1 ص 225) يزعم أن السلطان كان في حاجة إلى رياس لقيادة السفن التي بلغ عددها عام (1804) خمسة زوارق (وثائق الحماية) استولت على باخرتين بروسيتين ثم عام (1816) على سفينتين هولنديتين و أخرى في ملك (هانوفر) وإذا كانت الأساطيل الأوربية قد ناورت أحيانا للقضاء على الأسطول المغربي فإنها تمكنت ءاخر الأمر نظرا لقوة قطعها البحرية على ما تبقى من قرصنة بالمغرب مما حمل السلطان على جعل حد لنشاط أسطوله عام (1817) وإن كان الغربيون يرجعون ذلك إلى ضغوط المؤتمر الذي انعقد في السنة التالية وهو (Congrés d'Aix-la Chapelle).

بل إن الحركة التجارية الخارجية قد تقلصت بدورها أوائل القرن التاسع عشر حيث لم يدخل إلى ميناء الرباط حسب القناصلة الفرنسيين سوى سفينتين أوثلاث فرنسية إنجليزية وبرتقالية تستورد القطنيات و الزرع خاصة عامي (1797 و1818) فكان التجار الأجانب قليلين بل إن النائب القنصلي الوحيد بالرباط عام 1802 كان هو الفرنسي (باتيست Jean - Baptiste Monier (حسب وثائق الحماية) و تشير بعض المصادر إلى وجود مصنع للقطنيات بالرباط و إن كان (كايي) ينكر ذلك (ص 827) بدعوى أن القطن لم يكن يزرع بناحية الرباط و بعد وفاة المولى سليمان أقام السلطان مولاي عبد الرحمن بالرباط عام (1238هـ/1822) حيث اقتبل و فود قبائل الحوز وكثيرا ما كان يتردد على الرباط للإقامة بها خاصة في أيام محنته كما وقع عام (1844) بعد أن بلغه انهزام ولده الأمير محـمد في معركة (إيسلـي) وكان قد أسكن جيش الأوداية بالقصبة عام 1833 بقيادة إدريس الجراري و كانوا قد طردوا قبل ذلك من فاس و تم إلغاؤهم من الديوان و كانت في ضمنهم (رحى المغافرة) التي نقلت إلى مراكش و رحى الأوداية الى العرائش و (جبل تسلفات) بينما أعطى الأسبقية لأهل سوس فأنزلهم بالقصبة ثم المنصورية ثم تمارة و قد بدأ آنذاك بنقل القواد وبعض العائلات مثل الدريبكيين و الشبانة و زرارة و أولاد دليم و أولاد جرار وأولاد مطـاع وعددهم ما بين 1500 و 2000 بإدراج النساء و الأطفال و كان نصف أهل القصبة من فريق سوس يفلحون و يمارسون المهن المختلفة (حسب Ducros) في كتابه (ص 12- 27) وهنا بدأت القصبة تسمـى (قصبة الأوداية) وكانت قبل ذلك تعرف بالقصبة الأندلسية ولعل نقل الأوداية أو فريق منهم الى الرباط كان بدافع من حماية المدينة من غارات زعير وإن كان السلطان قد محاهم من الديوان طوال عشر سنوات إلى عام 1844 حيث أشرك عددا منهم في (معركة ايسلي) فغضب عليهم واعتقل بعض قوادهم ثم أعادوا إلى الجيش فانضموا عام (1269هـ/1852) إلى الحركة التي توجهت لتمهيد زمور. و قد أعاد المولى عبد الرحمن التجارة إلى الانتظام مع أوربا برا وبحرا مع وجوب حمل الجواز و الفصل في الخلافات بمحضر القنصل (معاهدة الصلح عام 1240هـ/1824) و مع ذلك حاول إحياء القرصنة فكان له حسب قنصل فرنسا بطنجة عام (1826) سفينتان قد جهزت كل منهما بستة مدافع و خمسين بحارا تنقل إحداهما الحبوب و البضائع من جبل طارق إلى طنجة ثم العرائش و الرباط و الثانية لمهاجمة سفن الدول التي لم يكن لها ممثلون بالمغرب (وثائق الحماية 1825) و قد زار السلطان عام (1828 /1244هـ) مراسي المملكة لتركيز تقاليد الجهاد القرصني و أذن باستيناف القرصنة بكل من الرباط وسلا ضد قرصان البحر الذين يجرؤون على الوصول إلى شواطئ المغرب على أن الحاجز الرملي(Barre) كان له دور في إنهاء القرصنة بعد ذلك حيث عجز مركب مغادرة الميناء للإبحار بعد أن بني عام 1832 بينما رابطت السفن السلطانية الأخرى في وادي (لكوس) بالعرائش نظرا لعدم استعمالها وكانت فرنسا قد بدأت بالإغارة على الجزائر فصدر الأمر من السلطان بالاستعداد وتهيئ ءالات الحرب خاصة بعدما وصل إلى فاس أعيان تلمسان يلتمسون من السلطان الحماية والنجدة (1246هـ/1830م) وكان السلطان قد جمع جيش الأوداية بفاس الجديد ولكن انهزامه بمعركة (إيسلي) (1200هـ/1844) حداه إلى تجديد قوته لاسيما و أنه اضطر إلى الاعتراف بالأمر الواقع و مهاجمة صراع جديد في البحر الأبيض المتوسط اثر احتلال فرنسا للجزائر و قد ثار أهل الرباط في هذه الآونة بسبب غطرسة القناصل بل إن القنصل الإنجليزي الذي أثار ضجة ضد الرباطيين بدعوى عدم قيامهم بالواجب في حقه امتنع عام 1264هـ من أداء كراء سكناه الحبسي مدة من عام ونصف وأصبح المحميون يلجأون لبيت كل من القنصل الفرنسي والانجليزي منذ عام (1261هـ) وعمد الذميون إلى تهريب السلع فمنعهم السلطان من ممارسة التجارة عام 1263 و لكن المراكب الأجـنـبـيـة صـارت تـمـارس التهريب علانية مما حمل السلطان عام 1263 على مزاولة تفتيش السفن الأوربية منها مركب برتغالي أنزل بضائعه المهربة إلى الديوانة (الوثائق الملكية بمديرية الوثائق بالرباط) و قام أهل الرباط برد فعل عنيف فهاجموا عام (1851/1268هـ) الباخرة الفرنسية الواردة من مرسيليا (Courraud -Rose) بعد أن كادت تغرق في أبي رقراق (وثائق الحماية) على أن هيبة المخزن بدأت تضعف في قبائل أحواز الرباط (الزيايدة والسهول ووادي الشراط و خاصة زعير التي اضطر القائد قاسم الهواري إلى إرجاع قوافل خرجت من الرباط خوفا عليها من قطاع

الطريق الزعريين (وثيقة 1263) وكان قادة هذه القبيلة يغيرون على مجموع الأحواز ومنها منطقة (بوزنيقة)
ما وقع عام (1264) مما حمل المخزن على تجهيز قوات مسلحة بالمراكز الاستراتيجية (منها 300 فارس في بوزنيقة و 100 بتمارة) واستغل الأمر بعد هزيمة تطوان (1276هـ/1860) حيث بدأ القناصلة الأجانب يناورون لتشجيع الثوار فحمى القنصل الإنجليزي فرقة من أهل الغرب مما اضطر السلطان إلى إصدار تعليمات لنائبه محمد بركاش بطنجة (رسالة ربيع الثاني 1279هـ) يأمره بمخاطبة السفير الإنجليزي في طنجة في الموضوع و أصبح من مظاهر غطرسة القناصل و التجار الأجانب صيد و تربية الخنازير وبيع الخمور و قد تكالبت الدول الأوربية ضد المغرب و أصبحت تتربص بالمغرب وتهتبل كل فرصة لتضييق الخناق عليه مما اضطر السلطان منذ عام (1851) إلى توجيه خطاب لرئيس جمهورية فرنسا يطلب منه نسيان الماضي حيث كان الأمير عبدالقادر الجزائري يتلقىالسلاح من انجلترا عبر جبل طارق و تطوان و الغريب أن فرنسا نفسها كانت تجهز الأمير بالعتاد ضد السلطان إذ وردت على ميناء الرباط عام 1839 باخرة فرنسية تحمل (30) صندوقا من العتاد للأمير الجزائري موجهة إليه من أحد عملائه بمرسيليا وبعد فترة من الزمن بلغت العقدين صدر مرسوم سلطاني أول يناير 1858 منع تصدير الأصواف فنزل حجم المبادلات التجارية من مبلغ 158.400إلى قنصلية فرنسا بطنجة 1836 و قد زاد في الطين بلة ظهور (الكوليرا) عام 1855 حيث مات من أهل الرباط حسب المصادر الأجنبية ستة آلاف ربعهم من الملاح و كان من بين الضحايا القائد السويسي المعزول و قائد الديوانة محمد ابن زاكور. وكان المولى عبد الرحمان يقيم أحيانا بقصره الجديد برباط الفتح الذي وصفه صاحب الجيش ال ع مرم من (ص167) بأنه يحاكي المباني العلوية المراكشية والإسماعيلية المكناسية مع تفوقها قوة وعتادا لوقوعها في البحر ولعل التفكير في اتخاذ الرباط عاصمة قد بدأ منذ ذاك يتغلغل في الأذهان لأسباب استراتيجية وقد أصبحت الرباط طوال القرن التاسع عشر الميلادي مقرا للسلطان المولى محمد وولده المولى الحسن الأول ثم المولى عبد العزيز أيام والده (عدا ما بين 1894 و1900) و قد افرغ القائد السوسي عام 1891 مائة دار لأغنياء الرباط لإسكان الحاشية السلطانية و كانت المؤن توضع في مستودع الديوانة و قد أمضى السلطان الحسن الأول أعياد الفطر مرارا في قصره بأكدال وكانت إقامة الملوك العلويين به لا إقامة عابرة بل كانوا يقتبلون به ممثلي الدول الكبرى و يجرون معهم مفاوضات كما كان يقع بفاس ومراكش ولم تكن منطقة الرباط تخلوا آنذاك من اضطرابات إذ ما كادت تعلن وفاة المولى محمد بن عبد الرحمن يوم (11 شتنبر 1873) حتى تحركت قبائل زعير و زمور لاسيما بعد وصول السلطان الحسن الأول إلى الرباط في نونبر من نفس السنة وقد اتجه السلطان آنذاك لتدويخ القبائل توطيدا للصلة بدول الأوربية من أجل تطوير التجارة الخارجية دون نسيان بذل الجهد لتأسيس المصانع و إقامة الأبنية العمرانية (الاغتباط ص 296) منها مساكن خاصة للأجانب مع حراستها و التنبيه على عدم المساس بالسفن اللاجئة إلى المرسى من أجل التجارة أو الصيد و كان قناصلة الدول قد بدأوا يناورون بردود فعل عنيفة اتخذت عدة أشكال تهدف كلها الى أضعاف قوة السلطان وإفقار بيت المال للإجهاز على الدولة و في بحبوحة هذه الدسائس لم يال السلطان محمد الرابع و بعده الحسن الأول الجهد في مواصلة عمران المدينة و تجهيزها بالعدة و العتاد فأقام المولى محمد قصرا جديدا في أكدال مكان القديم و بنى القصر الحالي على أراض كان يملكها بعض سكان الرباط و نقل إليها ماء غبولة في قنوات على عدة كيلومترات و أحيا الرباط كحاضرة ملكية ركز وجودها جده محمد الثالث فأضاف السلطان لقصر القبيبات بطارية من المدافع الموجهة نحو البحر يسهر عليها (46) راميا من رجال العدوتين.
وواصل جلالة الحسن الأول التجديدات العمرانية في الجامع الكبير و قصري أكدال والقبيبات الذي كان عبارة عن حصن توجه أفواه مدافعه نحو البحر يسهر عليه ستة وأربعون راميا من رجال العدوتين و في كلا العهدين أثرى سكان الرباط و بنوا الدور الأنيقة و ركبوا البغال الفارهة و كان لعمرانهم مظهر جديد لم يعرف من قبل في الرباط بمثل هذه الروعة وهو استكمال مظاهر الترخيم و التزليج و استعمال الرخام و المرمر.

غير أن المناورات الأوربية بلغت مداها خاصة بعد حرب تطوان (1277/1276هـ / 1859 م 1860 م) و طغيان الدبلوماسية الأجنبية بطنجة و لولا تناحر الدول الكبرى و حرص الأنجليز على عدم فتح ملف قضية المغرب – لكان لدسائس الغربيين أبعاد أخطر و أشد وطأة على المغرب و كان الحسن الأول (1873 – 1894) يدافع بين الدول و يبذل قصارى الجهد لتوحيد المملكة ضد أطماع القوة الاستعمارية الناشئة ثم تولى المولى عبد العزيز (1894 – 1908) فواصل وزيره (باحماد) إلى عام 1900 سياسة الحسن الأول و لكن تبذيرات الأمير الشاب و تسرب الأجانب إلى القصر الملكي أدت إلى ثورة (أبي حمارة) و تدخلات فرنسا و إثارة الأمراء أبناء الحسن الأول بعضهم ضد بعض فانقسم الشعب وانهزم السلطان المولى عبد العزيز آخر الأمر فانبرى المولى عبد الحفيظ سلطانا في بحبوبة الفوضى والاضطراب ودسائس الغربيين ليوقع عهد الحماية (بعد أن ملك أربعة أعوام حفلت بالمناورات (1908 – 1912).

المراجع

- ابن خلدون ج 4 ص 275 /الحلة السيراء لابن الأبار ج1 ص 44 طبعة 1963 /ليفي بروفنصال في (أسبانيا المسلمة في القرن العاشر الميلادي ص130).

- كان في قرطبة وحدها نحو المليونين ولما أجلى الاسبانيون المسلمين و اليهود ..و هاجروا الى أمريكا هبط عدد سكان أسبانيا ففي سنة 1594 كان نيفا وثمانية ملايين (ص 41) ..و في عام 1768.. 9160000 ..وفي زمن آل بربون 10 ملايين و في عام 1832 صار11 مليونا و سنة 1849 كانوا 14 مليونا وفي أوائل القرن العشرين صاروا 21 مليونا و بذلك أصبحت الأندلس بعد خروج المسلمين منها "يتيمة" و قد أوصى المنصور الموحدي والد الناصر لدى احتضاره بالأيتام و اليتيمة فسأله عنهما الشيخ أبو محمد عبد الواحد فأجابه المنصور : "اليتيمة هي جزيرة الأندلس و الأيتام سكانها "(البيان لابن عذارى ج 3 ص24 طبعة الرباط 1960)

– كانت وقعة طريف Trifa أو معركة البوغاز Bataille de Salado عام (741هـ جمادى الأولى /1340م(حسب النفح) فكانت نهاية الجهاد المريني بالأندلس و التخلي عن الدولة النصرية التي ما لبثت ان لقيت مصرعها المحتوم بعد إن استسلمت (عام 743هـ/1342م) بالجزيرة الخضراء و ظل جبل طارق و حده في يد المسلمين إلى عام (1462م/867هـ ثم غرناطة إلى عام (1492م/898هـ) (النفح ج 6 ص 317 /الاستقصا ج2 ص 165

كانت مملكة غرناطة عند الاحتلال تشمل مالقة و غرناطة و المرية (راجع سلسلة ابحاث الدكتور محمد عبده حتاملة التي نشرتها الجامعة الأردنية ابتداء من عام (1400 هـ/1980م).

– قارن هذه الكلمة بكلمة (علج) و هو الذي يقصد به معتنق الإسلام من النصارى

– مجلس الأربعين هذا شبيه بآيت الأربعين عند الأمازغيين الذين رابطت منهم الآلاف ضمن حاميات الحواضر الأندلسية منذ عهد المرابطين وقد لاحظ شكيب أرسلان (الحلل السندسية ج 1 ص 25) أن كثيرا من المؤرخين يذهبون الى أن الايبيريين الذين هم سكان اسبانيا الأولون هم والبربر من أصل واحد و يستدل على ذلك بالتشابه بين عادات الفريقين من ذلك ما رواه سترابون من أن المراة كان لها المقام الأول عندهم الى زمن الرومانيين و هذه العادة معروفة الآن عند الطوارق في صحراء افريقية وهذه نظرية لا ترتكز على أساس علمي.
راجع كتاب مارمول حول ثورة الموريسكيين في مملكة غرناطة –الطبعة الثانية مدريد 1797 م 116

– من مظاهره ما حكاه المؤرخ الإنجليزي برسكوت من نسف الأسبان لمسجد بالبشرات مليئ بالنساء و الأطفال في كتابه (تاريخ ملوك الكاتوليك). م. 3 مدريد 1846 ص 189 Wiliam Prescott.

– وقد شمل الاضطهاد حتى المدجنين و هم المسلمون الذين عاشوا على دينهم بين الأسبان قبل سقوط غرناطة.

– ورد في وثائق دوكاستر(س.أ– السعديون ج 1 ص 1918/88) أن فيليب الثاني ملك اسبانيا شكل مليشية جديدة لمواجهة تمرد الموريسك و اليهود بأسبانيا حيث عثر في قشتالة على مبعوث من سلطان فاس جاء كالعادة في كل سنة يجمع الجبايات من الموريسكيين باسم السلطان و قد اعتقل كما اعتقل خمسة من أصحابه و ذلك حسب رسالة مؤرخة من مدريد 17 نونبر 1565 /973هـ و موقعة من W.Phayre و قد أشار نفس المصدر الى ثورة الموريسكيين التي امتدت من عام 976هـ/1568 م الى عام (978/1570هـ) كما ورد من قادس عام (1569) أن الثوار يتلقون النجدة من المغرب (ص 104) (راجع دوكاستر – فرنسا ج 1 ص 286)

راجع ديوان اهل الأندلس في كتاب John (Janheinz) - Diwan aus Al-andalus- Nachdichtungen Hispano- Arabischer Lyrik,Kassel1949 (150p.)

وكان من بينهم أيضا حسب دوكاستر مهاجرون من San lucar و Llerena و قادس

– في عام 1638 أكد القنصل راستان Rastin أن الأندلسيين كانوا يفضلون الاستسلام الى ملك اسبانيا بدل العياشي و يزعمون أن القصري فاوض في ذلك الدوق دو مدينة (Le duc de Medina Sidonia) نظرا لتأزم الحالة و ان الأميرال الإسباني اقترح إمداد السكان بالأغذية و العتاد وإنزال ستمائة جندي فأبدى نجل القصري استعداده للقبول بينما عارض القائد (مراد) بل أضاف المصدر الإسباني أن القصري اقترح على الدوق في رسالة خاصة سماح فيليب الرابع للأندلسيين بالعودة الى اسبانيا مقابل تسليم القصبة و العيش في هدوء بالأندلس مع استرجاع املاكهم (راجع Gosalbes Busto, la Republica Andaluza de Rabat en el siglo XVII (p. 133-161) .

- حكى جان ارمان Jean Armand Mustapha في رحلته عام 1630 ان "عرب الرباط" لم يكن يسمح لهم بالدخول الى سلا (وثائق دوكاستر ج III ص 336 – الدلائيون)

- ولاحظ (شيني) أن الرباط قامت مدة قصيرة ضد المولى محمد بعد أن تنازل السلاويون و ذلك بإيعاز من الرايس المستيري ز عيم المتمردين إلا أن أخاه خانه فاستسلمت المدينة فعين اخو المستري قائدا على الرباط وغرم الرباطيون و اسر من كان بها من رهبان و أدى كل تاجر مسيحي عشرة ءالاف بسيطة أدوها بضاعة بنصف ثمنها و انتحر تاجر إنجليزي لأنه باع السلاح للمستضيء و علل (شيني) كل ذلك بأن معاقبة سلا كانت بسبب استقلالها عن المستضيء والرباط لعدم استقبالها إياه (الرحلة م. 3 ص 459) و هذا مناف لما ذكره الزياني وأكده شيني) نفسه من دخول المولى محمد الرباط ليلة وصوله إلى أبي رقراق و الواقع أن (شيني) هذا لم يكن دائما في المدينة رغم استقراره المبدئي بها بل كان يعتمد على شهادة التجار المسيحيين و مصادر أجنبية

- و في نفس الوقت هي الصويرة فكان له بها و بالرباط معظم سلاحه و هو (60) مهراسا و (200) مدفع (حسب شيني – الرحلة م. 3 ص237) اشترى بعضها بأرباحه من إصدارات القمح الذي سمح به بضع سنوات (ص 490)

- وتعزيز الجانب الديموغرافي بنقل أمواج من الناس من مراكز أخرى

راجع أمثال مهاجري وادي أم الربيع و هم آل فرج و الزعيمي و الدكاليين و آل الغربي (من مدينة الغربية) و العبدي (من ناحية أسفي) آل المذكوري (من المذاكرة)

– Mémoire de Jean d’Estrées, Decastries, 2e série, France, T.1p.404/Mémoire de y.B Estelle de 1696, T.4, p.436 Paris 1931 مويت :(تاريخ فتوح الرشيد ص 49)

– Lettre de Tanger (21-31 déc.1669,Decastries, 2e série, France, T.1p.288 Estelle ,1696, Decastries, 2e série France, T.4p 417

– كان قائدا عام 1726 واسمه الأول Pillet وقد عين قائد الميناء عام 1729
Journal du voyage de st .Amans,p 324

– كما في وثائق دوكاسنر س. 2 فرنسا م.2 ص 653/ م.3 ص 189 باريس 1927

– Juan del Puerto, Mission historical de Marruecos, Sevilla, 1768 p. 618

– و قد جدد بابين في هذا السور هما باب شالة و باب الحد عام (1230هـ/1814م)

- قبل وقوع الوباء بالرباط عام (1799-1214هـ) بلغ عدد سكان المدينة (ثلاثين ألف نسمة) حسب المؤرخ الفرنسي Broussonnet (Magasin encycl. ou Journal des sciences p.10) أو (25.000) حسب الأنجليزي Grey Jackson وهو الذي أوصل عدد سكان المغرب كله الى 884.000 نسمة في حين أوصلها (كايي) انطلاقا من إحصاء عام 1936 الى(6.298.528) بإدراج الأوربيين. وبقدر ما قلص بعض المؤرخين الفرنسيين عدد سكان الرباط بقدر ما وصفوه بالعنصرية والتصلب ضد كل من الغربيين و اليهود حسب قنصل فرنسا بطنجة (Sourdeau) الذي يتهم أهل الرباط باضطهاد المسيحيين بعنف لا مثيل له (وثائق الحماية) رسالة (Ach.du Prot, Lettre de 1816) مما حدا (كايي) نفسه (ص 328) الى الاعتراف بأن هذه المقولة من قبيل المغالاة

- ذكر كايي (تاريخ ..ص 328) أنه بتأسيس قصر القبيبات علاوة على قصر أكدال اصبحت الرباط حاضرة ملكية مثل فاس ومراكش ومكناس.